

عنوان البحث
البارو والأشيبو و الآسو في بلاد الرافدين
دراسة مقارنة

م د حسين عليوي عبد الحسين السعدي
كلية الآثار / جامعة الكوفة

المقدمة

لقد كانت إنجازات سكان بلاد الرافدين بمختلف العلوم و المعارف دليل هام على عظم حضارتهم التي أنتشرت في أرجاء العالم القديم، الى كافة الاقوام القريبة و البعيدة،أذ أبتكرت تلك الحضارة اختراعات علمية كانت تهدف الى خدمة المجتمع و للمحافظة عليه ماديا و معنويا عن طريق استخدام وسائل سحرية و تصورات و أفكار علمية، و ما يزال تأثير الكثير من مفرداتها قائما في مجتمعاتنا الحالية المتحضرة،وأن أغلب تلك الانجازات لم يتم منحها ماتستحق من المعرفة والدراسة لأسباب عدة ،يتعلق قسم كبير منها بأن تركيز معظم الابحاث كان و لايزال ينصب على محاولة فهم مقومات الحضارة الرافدينية و تفسيرها بشكل ديني و جعل الفلسفة الدينية هي المعيار الذي تقف دونه كل الجوانب الحضارية الأخرى ،علما أن هذا التحليل فيه الكثير من الغبن لحضارة تجاوزت بفجرها المبكر كل الحضارات الأخرى،و أن وظفت الدين لخدمة البشر لكنها أيضا تعاملت بموضوعية مع مختلف العلوم، و ناقشت أمور علمية بحتة كانت غاية في الدقة رغم تأطير الكثير منها بأطار كهنوتي،مثل علم التنجيم و الرياضيات و الطب، لذا كان البحث موضوع الدراسة هو محاولة لتسليط الضوء على تلك الانجازات خاصة فيما يتعلق منها بممارسة مهنة الطب، والتصورات الفكرية الاعتقادية العلمية التي تشوبها الخرافة في حضارة بلاد الرافدين في ما يخص تلك المهنة، و دور أصحاب تلك المهنة من الاطباء الكهنوتيين الذين عالجوا الناس من منطلق ديني بواسطة السحر و أصحاب العلم الذين كان دليلهم العلامات المرضية و أسبابها و طرق معالجتها متخذين من العقاقير الطبية سبيلا لشفاء المرضى من الناس ،وفق نظرة علمية موضوعية بحتة .

فتناول البحث عدة نقاط هي :

تاريخ مهنة الطب و الدور الريادي للأطباء السومريين و الاكديين في مجال الأمراض و أسبابها و علاجها ، أذ برز الاطباء بنوعهم الطبيب الكاهن الساحر الذي يداوي الروح بالدرجة الاساس و هو ما يمكن أن ندعوه حاليا بالطبيب النفسي الذي يؤول كل علة جسدية الى خلل نفسي سبب مرضا عضويا، و النوع الثاني هو الطبيب الذي يعالج الأعتلال الجسدي بوسائل علمية و وصفات علاجية . ثم يتطرق البحث لذكر أصناف الاطباء من النوعين المذكورين في بلاد الرافدين و يشرح عمل كل منهم بحسب ألواح النصوص الاثرية المكتشفة .

و أخيرا يورد البحث أهم الاحكام و القرارات الصادرة بحق الاطباء سواء ما يتعلق منها بالعقوبات الجزائية بحق من يسيء استخدام المهنة، أو من يتسبب في موت الانسان أو الحيوان بالنسبة للأطباء البيطريين، و يتطرق البحث الى ذكر بعض التشريعات عن مقدار الاجور التي كان يتقاضاها أولئك الاطباء في بلاد الرافدين .

أولاً: الجذور الأولى لمهنة الطب في بلاد الرافدين

أشار أحد الباحثين الى أن الاعتقاد السائد عن تاريخ الطب عند الاقوام الجزرية و منهم العرب لم يكن يتعدى عصر قبيل الأسلام، حتى أتحدثنا حضارة بلاد الرافدين بمواضيعها الطبية المتنوعة و الموغلة في القدم و التي كان لتلك الحضارة دور بارز فيها، إذ أن السكان من السومريين و الأكديين كانوا الرواد الأوائل في مجال العلوم الطبية المعتمدة على المعالجات النفسية و الأمراض الجسدية التي تظهر على الجسد⁽¹⁾

و أن أقدم الجذور المبكرة و البدائية الأولى لمهنة الطب الرافديني تعود بتاريخها الى ما قبل (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد عند سكانه من السومريين الذين توضحت على أيدي كهنتهم السحرة من صنف الـ (مشماشو MAŠMAŠU) أولى طرق العلاج الكهنوتي ، إذ تولوا معالجة الناس بصفتهم أطباء للروح و للجسد عن طريق الرقي و قراءة التعاويذ باستخدام أساليب سحرية، ثم ظهر الطبيب السومري المدعو بـ (آزو AZU)، الذي بدأ على يده علم الطب المعتمد على التشخيص و المعالجة العلمية البحثية، إذ يشير أحد النصوص المكتشفة من موقع (أبيلا) في سوريا والمؤرخ بحدود الالف الثالث قبل الميلاد، كيف أن الطبيب المذكور يمتلك أبرة أبرونزية يستخدمها في علاج المرضى مع بعض المواد التي كان يقوم بوزنها ، و قد ذكرت نصوص طبية أخرى واضحة المعالم كتبت باللغة السومرية و بالخط المسماري تعود الى عصر أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق م) أن أقدم الاطباء كان يدعى بـ (آزو) و هو الشخص الذي كان يعالج المرضى من الناس عن طريق تحديد الادوية التي تناسب كل مرض ، ثم تطورت مهنة الطب في العصر البابلي القديم و في العصر البابلي و الآشوري الوسيط ، أصبحت تعتمد على التخصص و قراءة المراجع الطبية^(٢) إذ أنتعشت هذه المهنة و تطورت بشكل كبير و مهم لدى الاقوام الجزرية من الآشوريين و البابليين، الذين أولوها مستوى عال من الأهتمام، فقد وضعت شروطا صارمة تنظم عمليات ممارسة تلك الاعمال العلاجية التي يقوم بها الاطباء من الاصناف

المختلفة ،حتى أنهم قد أدخلوا في قوانينهم مبدأ الثواب و العقاب لمحاسبة من يسيء للعمل الطبي وفق أحكام جزائية و حددوا العقوبات ضد من يرتكب الاخطاء الطبية، و قد أشارت النصوص التي أكتشفها المنقب (هنري لايارد) في بلاد آشور عام (١٨٤٩م) و التي تتضمن (٨٠٠) نص طبي هو من نتاجات الحضارة الرافدينية و التي ترقى بتاريخها الى حدود سنة (٢٠٠٠ق م) الى معلومات و ملاحظات و مناقشات مرضية مفصلة دونها صنف من الاطباء، دعي أحدهم بـ(أسو asû) ،وبحسب تلك النصوص المكتشفة فقد كان هناك تنظيم لمسؤوليات الاطباء خاصة الجراحين من هذا الصنف، إذ أهتم أولئك الاطباء بتحديد الامراض و إجراء العمليات الجراحية لشفاء المرضى ، و تمتعوا بالحصول على أجر يساوي (١٠) شقيقات من الفضة و هو مبلغ أعلى من ما كان يدفع للأعضاء الحكوميين من الموظفين البارزين في مجتمع بلاد الرافدين ،وقد عالج الاطباء المذكورين حالات أنسداد الامعاء مستخدمين في وصفاتهم العلاجية المراهم و الحقن الشرجية،كما قاموا بتنظيف الدامل و الخراجات الناتجة عن الالتهابات في مختلف مناطق الجسم و معالجة التقيحات الاخرى،و أيضا استخدموا زيت السمسم ،و نجد على ختم يعود الى أحد الاطباء البابليين يرقى بتأريخه الى قبيل العصر البابلي القديم رسم هو عبارة عن سكينتين متشابكتين، و هو حاليا معروض في متحف اللوفر بباريس، و الذي يمثل نموذجا رائعا لمستوى و مكانة الطب و الطبيب في بلاد الرافدين في تلك الحقبة الزمنية الموعلة في القدم، علما أن ممارسة مهنة الجراحة كان يمارسها الحلاق الآشوري الذي دعي بـ (gallabu) منذ وقت مبكر،و أختص هذا الصنف من الاطباء الحلاقين بجراحة وسم العبيد على جباههم أو أيديهم، إضافة لعملهم الاساسي في حلاقة الشعر و علاج الاسنان و عمليات قلعها،و هذا ما كان شائعا في أوربا حتى عصر النهضة (٣)

ثانيا: أصناف الاطباء

بشكل عام كانت العلوم الطبية السومرية تنقسم الى ثلاث مجموعات ،الأولى هي مجموعة نصوص طبية بحتة و الثانية مجموعات الطالع أو نصوص العلامة (الإشارة) و الثالثة مجموعات نصوص متنوعة تعتمد على الصدفة في تشكيل الامراض و الممارسات الطبية ،وقد أمدتنا الالواح الطينية السومرية بمعلومات عن أشكال التقسيمات الطبية التي كانت سائدة في المجتمع الرافديني آنذاك،أذ كان الطب ينقسم لديهم الى قسمين أولا الطب الكهنوتي المعتمد على

السحر و قراءة الطوالع و أستشارة الفأل و نوع ثاني يعتمد على الحقائق العلمية البحثه (٤) و قد أشارت المصادر الأكديّة الى وجود نوعين من الاطباء لمعالجة وشفاء الناس،الأقدم هم الاطباء السحرة من كهنة المعابد خاصة من صنف الـ (بارو *bârû*) و (الأشيبيو *āšipu*) و الذين كانوا يمارسون نفس عمل زميلهم الكاهن السومري المدعو (مشماشو *MAŠMAŠU*) الذي سبقهم في تأريخ المعالجات و شفاء المرضى إذ كانت تلك الاصناف من الاطباء الكهنوتيين يعالجون مرضاهم بالرقى و التعاويذ و السحر الديني،و الصنف الثاني هم الاطباء الذين أعتمدوا في عملهم على العلوم الطبية الصرفة و الذين مثلهم الطبيب السومري المدعو بـ (آزو *AZU*) و الأكدي (آسو *asû*) (٥) و هذا ما أكدته المكتشفات الآثرية التي أشارت الى أن أول ذكر للطبيب قد ورد في لوح من العصر السومري المبكر و دعي بالطبيب الممارس تحت أسم (لولو) ،و قد أكتشف اللوح المذكور في مدينة (أور) من قبل (ليونارد وولي)، و الذي يعود تأريخه الى حوالي سنة (٢٧٠٠ق م)، اذ نقشت عليه المفردتان (لولو، الطبيب) ،و كان للطبيب في تلك الحقبة المبكرة من التاريخ منزلة اجتماعية عالية نسبيا مقارنة مع زملائه من أصحاب المهن الأخرى ،و نستدل على ذلك من خلال بقايا بعض الرسوم على أناء نذري و على الختم الاسطواني العائد لأحد أطباء مدينة لكش السومرية الذي دعي بـ (أورلوكال ايدنا) ،فقد وصف الطبيب المذكور بأنه كان يحتل وظيفة مهمة تحت حكم (أور - نينكرسو) أبن الحاكم (كوديا)،و يبدو على تلك البقايا رسوم (الآلات الطبية التي تشبه الدوارق و الأبر و المباضع و أحقاب الزيت و الأعشاب الطبية) (٦) و قد أرتفعت منزلة الطبيب عند الأكديين لاسيما الآشوريين منهم ،اذ شاع ذكر الكثير من الاطباء خاصة الذين كانوا يعملون في البلاط الآشوري،حتى أن عدد منهم قد وردت أسمائهم في اللوح المدونة مثل الطبيب (آرام شو) و (آراد نانا) و (آبال أيدنا) الذين عاصروا الملك (أسرحدون) و ولده (آشوربانيبال)، كما وردت أسماء لأطباء آشوريين آخرين منهم الطبيب (أشاريد) و ولده (مردوخ ماككور)، و قد ذاعت السمعة الطبية لأطباء بلاد الرافدين حتى أن بعضهم قد أرسل بأمر من الملك لمعالجة بعض الملوك من الأصدقاء و الحلفاء ،لذا فقد أثرت العلوم الطبية لبلاد الرافدين في الاقوام البعيدة و القريبة بصورة مباشرة أو غير مباشرة ،خاصة فيما يتعلق بقراءة الفأل عن طريق فحص كبد الحيوان الذي كان قد أنتشر و بشكل واسع عن طريق كهنة (البارو) البابليين و الآشوريين و أخذه عنهم الفرس و الحثيين الذين نقلوه الى اليونانيين و الرومان (٧)

وقد ورد الشيء الكثير من المعلومات عن الطب و الأطباء من من مصادر متعددة و ربما كانت تلك المعلومات قد أستخدمت كأحدى وسائل العلاج الروحاني من قبل الطبيب الكاهن الذي يعتمد بشكل كلي على الأدعية و التراتيل و التعاويذ و الرقي لشفاء الامراض خاصة النفسية منها، كما وصلتنا معلومات مهمة من الرسائل الشخصية و العامة المرسلة من الاطباء أو مرسلة إليهم، تتحدث عن ممارسة مهنة التطبيب و المعالجات التي تمت و أسبابها و التي تم ذكرها في النصوص القانونية المتعلقة بمكانة الطبيب و مقدار أجره و عقوبته، و أيضا أشارت الملاحم و الاساطير الى الدور الذي يحضى به الطبيب في مجتمع بلاد الرافدين، و ظهرت مفردات لغوية تتضمن أسماء الامراض و مصطلحاتها العلاجية التي كتبت باللغتين السومرية و الاكدية في معاجم خاصة، وعلى الرغم من وصف الطب الرافديني بأنه طب التعاويذ و السحر و الشعوذة، الا ان قسما كبيرا من الالواح الكتابية المكتشفة كانت لا تعتمد الا على العلاج المباشر وفق ما يظهره الجسد من علامات أعتلال، علما أن الطب الحديث أخذ يؤكد و بشكل كبير و واضح على أن كل وسيلة روحانية تساعد على رفع المعنويات النفسية للمريض تتفع في تدبير العلاج، لذا فإن كل ما كان يقوم به الطبيب المعزم المدعو بـ (أشيپو āšipu) و زميله الطبيب العراف المدعو بـ (البارو bārû) من أدعية و تراتيل و رقي و تعاويذ كان له أثر فعال في شفاء المرضى بالتعاون مع الطبيب السريري (آزو AZU/آسو asû) الذي يعالج الجسد معتمدا على ما كان يظهر له من أعراض و علامات المرض^(٨)

علما أن نصوص الوصفات الطبية (العلاجية) قد ركزت على الجانب العلاجي في الغالب من دون الإشارة إلى الحالات المرضية التي استدعت تحضير هذه الوصفات، وتبدأ عادة بذكر المواد المستعملة في تركيب العلاج، ومن ثم طريقة تحضيره والتي كثيرا ما كان يستخدم فيها بعض المواد المذيبة مثل الماء أو الجعة أو النبيذ أو الزيت، أو أنها تحتاج إلى تمريرها على بعض العمليات مثل التسخين أو الحرق، كما استخدمت تلك الوصفات بطرائق مختلفة منها ما هو خارجي كالكمادات والمسح بالزيت أو داخلي على هيئة سائل أو محاليل أو بشكل صلب على هيئة حبوب، كما كان بعضها يؤخذ عن طريق التبخير، و أن تلك النصوص التشخيصية والوصفات العلاجية كان معظمها يعود إلى العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق م)، ومن الملاحظ أن أهم تلك النصوص الطبية كانت قد كُشِف عنها

في مكتبة الملك (آشوربانيبال) (٦٦٨-٦٢٦ ق م) والتي تناولت أنواعا من الأمراض فضلا عن ذكر أسبابها وأعراضها ومعالجتها، فقد ورد في بعض نصوص المكتبة المتعلقة بالطب، أسماء (٢٥٠) نوعا من النباتات و (١٢٠) مادة معدنية و (١٨٠) مادة متفرقة استخدمت للغرض نفسه وذكرت البيرة والشحوم والزيوت والشمع والعسل بوصفها معالجات، ومن دراسة تلك المعالجات تتضح معرفة الطبيب الآشوري بخصائص الأعشاب والنباتات وكذلك المعادن، كما صنفت الأدوية وخصائصها فعلى سبيل المثال، قد أدرك الطبيب الرافديني خصائص الخشخاش بوصفه منوما ومسكنا و مخدرا، ولعل أبرز ما امتاز به الطب الآشوري أيضا في المعالجة تعدد الوصفات، إذ كان الطبيب يكتب وصفة لمرض معين وبتلوها بثانية وثالثة، وقد يصل العدد إلى أكثر من عشر وصفات، وربما كانت تستعمل الواحدة تلو الأخرى عند عدم الحصول على الشفاء^(٩)

الطبيب (المعاج الروحي)

أ - الطبيب الكاهن العراف (البارو bārû):

لقد وردت أصناف كثيرة من الكهنة في حضارة بلاد الرافدين لكن من أختص منهم بمهمة معالجة المرضى كان الطبيب العراف الأكدي (البارو bārû) فقد وردت هذه المفردة و التي تعني يفتش أو يلاحظ منذ العصر الأكدي، و أشارت بشكل أدق الى (العراف) الذي يقرأ العلامات و الاشارات و يفسرها و يتنبأ من خلالها بالمستقبل، و هناك من ترجمها على أنها تعني (البارع)، أو كلمة تدل على الشخص الذي يبرىء الامراض، فقد كان كهنة (البارو) يلعبون دورا مهما في معالجة الامراض، و معرفة الفأل و تفسير الاحلام و رصد الكواكب وتحديد الالهة و الأيام المناسبة للشروع بالاعمال و معرفة أيام السعد و النحس و أعداد الروزنامات، لذا نالوا منزلة مهمة عند الملوك والحكام، حتى أن ذكرهم كثيرا ما ورد في المراسلات الآشورية^(١٠) و يقوم الكاهن المذكور بدور الطبيب الذي يستخدم نوع معين من السحر لشفاء مرضاه، و قد لمع نجم هذا الصنف من الاطباء عند الاقوام الجزرية البدوية الاكدية بسبب أن تلك الاقوام كانت تعتقد بوجود علاقة بين ظهور المرض و بعض الظواهر البيئية المحيطة، مثل حركة الحيوانات و الكواكب و غير ذلك من من التغيرات الطبيعية، لذا لم يتم التركيز عند تلك الاقوام على المعالجات العلمية الدقيقة التي تنتج عن الفحص الدقيق لجسد المريض، و لكن بتطور العصور تراجعت أهمية الطبيب الروحاني أمام الطبيب المدعو بـ (آزو / asû) الذي يبني

تشخيصه على ما يراه في المريض و لا يعتمد على غير ذلك من الأمور التي يأخذ بها زميله من النوع الثاني أي العراف و بتعبير أدق كان (البارو) عند البابليين يشير الى وظيفة المتبصر في الظواهر أي البصير بها،و أنه الشخص المراقب الذي يكون على صلة باطراف عملية العرافة و هي(الآلهة،الظواهر،العلامات،الانسان)،فهو من وجهة النظر الاعتقادية لسكان بلاد الرافدين قادر على التواصل مع الارباب بحكم مكانته الدينية ،كما أنه يحمل الحكمة التي تمكنه من معرفة او تفسير الظواهر الكونية الفلكية الطبيعية و الحيوانية والانسانية (١١)

لقد كان (البارو) من صنف الكهنة الذين تمتعوا بمنزلة عليا،فقد أشترط بمن يحصل على هذا الصنف أن يكون سالما من التشوهات الخلقية، فمثلا تشوه الجلد أو أقتطاع جزء منه أو قلع أحد الاسنان كان يحرم الشخص من أن يصبح من هذا الصنف،أذ أن روح الاله كان تحل بجسد الكاهن المذكور بحسب معتقدات سكان بلاد الرافدين ،لذا كان يجب أن يتمتع بنوع من الكمال الجسدي ليستطيع تأدية مهنته بنجاح ،و قد كانت هناك درجات في تولي المسؤولية و الاشراف على كهنة (البارو) ،فمنهم العراف الرئيسي الذي يدعى باللغة الاكدية بـ (rabi bari) يعمل في خدمة البلاط الملكي أو المعبد و يكون مشرفا على عمل العرافين الصغار من كهنة الصنف المذكور،و كان عراف هذا الصنف يعمل على قراءة الطوابع ،أضافة الى دوره الرئيسي في مجال الطب الذي يتلخص بالتنبؤ بتشخيص الامراض عن طريق العرافة و يتم ذلك بتأدية الصلاة الى الآلهة عند الصباح الباكر بعد أشعال الموقد ثم يضع على منضدة خلف الموقد أربعة أواني من زيت السمسم و رغيفا من الخبز وخليطا من العسل و الزبد و الملح و بعد رش الموقد بالمواد المذكورة يقرأ الطبيب (البارو) على الشخص المريض تراتيل معينة يتوسل فيها الى الآلهة ، ثم تتم التضحية بحيوان و غالبا ما يكون ذلك الحيوان خروفا،و يستند هذا الكاهن في تشخيصه لأعراض (المرض murṣu)على فحص الاحشاء الداخلية للحيوان خاصة يلاحظ تحجر (الرئة hašu) و ندوب (الكبد kabattu) ، أضافة الى (القلب Libbu) و (الامعاء tiranu) و (المعدة karšu) ،و يتم قراءة كل الخطوط أو الأشكال و الأشارات الغريبة، و أي نقص يظهر فكل هذا يمثل علامة عرافية ،و بهذه الطريقة سوف يكون العراف (البارو) قادرا على معرفة الاحداث التي ستمر على البلاد أو التي ستحدث للناس أفرادا و جماعات،وفق ما أجراه من فحوصات على الحيوان الذي تمت التضحية به،اذ كان يلاحظ الصحة الجسدية

للمريض من خلال ما يراه على أعضاء الحيوان من علامات اعتلال صحي يتنبأ أو ينذر به الفأل ، و في بعض الحالات كان يضحى بأكثر من حيوان اذا كانت علامات الفأل سيئة أو مشكوك بها^(١٢)

و أن معرفة الطبيب البارو لكل تلك الاقسام الدقيقة من الاحشاء الداخلية للحيوان تؤكد الى أنه كان على درجة عالية من العلوم المعرفية في مجال التشريح الطبي للحيوانات ، كذلك كان هذا الطبيب يتمتع بمقدرة على قياس نسبة الانحراف و التشوهات أو الاعراض المرضية، و هذا يدل على معرفته بما يطلق عليه اليوم بـ (علم الامراض Pathology)^(١٣)

و كان هذا الصنف من الكهنة الاطباء يمارس عدة أنواع من العرافة الطبية مثل عرافة مراقبة حركات الحيوانات التي تدعى باللغة الأكدية بـ (داگل اصوري dagil issuri) و التي من تعاليمها أن يترافق الحدث المراد التنبؤ به مع وقت و زمان القراءة أي عندما يريد الطبيب العراف أن يتنبأ بمصير شخص مريض فيجب أن يراقب حركات الحيوانات القريبة منه مثل :اذا نعق غراب عن يمين رجل فان المريض سوف يموت، و اذا نعق عن يسار رجل فان خصمه الذي يعرفه سيبيكه، كما مارس أطباء (البارو) عند البابليين عرافة قراءة خطوط الوجه^(١٤) و هي ضمن القراءة الطبية لهيئة المريض ،اذ يتم الاستدلال على نوعية العلة المرضية التي تصيب الانسان من خلال ما يظهر على أجزاء الجسم المختلفة مثل وجهه ،يده ،رجله ،جذعه،فمثلا اذا كانت ذراعه الايمن ملطخة بالسواد و كان لسانه معقودا فانه سيموت ،و اذا كان وجهه أحمرًا فانه سيموت،أما اذا كان وجهه أبيض فانه سيشفى^(١٥) كما دخلت الاعداد في العرافة الطبية ،فمنها ما يتعلق بعدد مرات العلاج أو منها ما كان يرتبط بمدة حضانة المرض و وقت الشفاء^(١٦) و شاعت لدى هذا النوع من الأطباء أيضا عرافة التنبؤ عن طريق تصاعد الدخان^(١٧) و كانت بعض أنواع العرافة الطبية تنظم وفق سلاسل في نصوص طبية خاصة بالتنبؤ بكل حالة من حالات التشخيص و المرض، لذا فقد وصلتنا بعض تلك السلاسل و منها السلسلة التي تتنبأ بالجنين التي دعيت بسلسلة (šumma izbu) أي (أذا الجنين)^(١٨)

و كثيرا ما استخدم الطبيب من صنف (البارو) بعض المواد خاصة من العناصر الطبيعية مثل الماء الذي يمزج مع مواد أخرى كالزيت في قرح التكهن للحصول على نتيجة علاجية^(١٩)

ب-الطبيب المعزم (الأشيبيو āšipu):

الأشيبيو هي : مفردة أكديّة تعني المعوذ أو طبيب التعويذات أو هو الكاهن المعزم الذي يقوم بقراءة التعاويذ و طرد المرض من أجساد المرضى من الناس، و دعي أيضا بـ (طب الكهانة أو التعزيم أو طرد الشر) ^(٢٠) و غالبا ما كان الكاهن من صنف الـ (مشماشو MAŠMAŠU) : و هي مفردة سومرية الاصل و تعني أيضا الكاهن المعزم الذي يقرأ التعازيم و ينطق بالطقوس ^(٢١) يقوم بنفس عمل (الأشيبيو) كونهم المختصين بقراءة التعاويذ لشفاء الناس، و كان الطبيب (الأشيبيو) يؤدي أنواع متعددة من الممارسات الكهنوتية السحرية لشفاء المرضى، منها مثلا ((يأخذ حملا و يضعه الى جانب المريض في الفراش ثم يمرر سكينه خشبية على رقبة المريض و بعدها ينحر رقبة الحمل بسكين نحاسية، و يلبس الحمل ملابس المريض و يبكي عليه في محاولة منه لشفاء المريض)) ^(٢٢)

و كانت ألوان الملابس التي يرتديها كهنة هذا الصنف من الاطباء ذات أهمية في أتمام الطقوس بنجاح، إذ كانوا يرتدون أثناء عملهم ملابس ذي لون أحمر كون هذا اللون يساعد على طرد الشر و يعالج أمراض جسدية مثل الحصبة ، و يشير أحد النصوص الى أن الرداء الاحمر الذي كان يرتديه الكاهن أثناء تأدية لطقوس شفاء المرضى يدعى بـ (نخلابتو Nahlptu) و نقرأ في ما يخص الرداء المذكور مانصه:

((الثوب الاحمر، المسمى نخلابتو المخيف لبسته ضدك و وضعته على جسدي المقدس

و لبست ثوبا آخر أحمر اللون مليئا بالرعب)) ^(٢٣)

و من الطقوس العلاجية الأخرى التي يقوم بها (الأشيبيو) لمعالجة الناس دورانه حول فراش و سرير المريض في بيت الأخير ، أو يدور فوق سطح البيت، و في بعض الحالات يأخذ (الأشيبيو) المريض و يدخله الى كوخ من القصب و يتم هذا الطقس الاستشفائي في البرية أو في المقابر، كما تضمنت تلك الطقوس أيضا قيام كاهن هذا الصنف بأفزع المريض أو صفعه أو الصراخ عليه، و بحسب معتقدات سكان بلاد الرافدين كانت تلك الامور إحدى طرق طرد المرض من أجسام المرضى، و أيضا أستخدم هذا الصنف من الاطباء مبدأ التعويض و هي طريقة تقديم (البديل pūḫu) لشفاء المرضى ، إذ يتم التضحية بحيوان يكون بديلا عن المريض، و هو بمثابة فدية يقدمها الطبيب (الأشيبيو) عن المريض حتى يخرج المرض من جسده ليحل في جسد

الضحية و يترك جسد المريض، و أيضا أستخدم الاشيبو في علاج مرضاه طريقة دفن دمية من الشمع تشبه المريض في المقبرة ليعيد الشر الذي حل بالمريض الى مكانه في عالم الاموات، أو لكي يقوم بأبهام الشر الذي حل بجسد المريض بأن المريض قد مات و دفن^(٢٤) و تذكرالنصوص المكتشفة أن التضحيات التي كانت تقدم كبدايل للناس المرضى قد أقتصرت في الغالب على الحيوانات المدجنة خاصة الخراف و التي كان يشترط أن تكون أجسادها سليمة من الناحية الصحية و الخلقية، أي لا يوجد بها أي تشوه، علما أن قراءة الطوالع بهذه الطريقة قد أنتقلت الى اليونانيين عن طريق آسيا الصغرى حتى أنهم قد دعوا الكهنة الذين يمارسون هذه العملية بـ (كهنة الحضائر) ، و قد وصلت الافكار الرومانية المتأثرة بعلم الطوالع الرافديني الى العصور الوسطى^(٢٥) كما تأثر العرب قبل الاسلام بها أيضا ،أذ أتخذوا نفس الخطوات في عمليات التضحية بالاشخاص و الحيوانات فقد كان يتطلب من المضحى به أن يكون شابا و سيما و غير معاق، و يسري هذا على الحيوان أيضا فكانوا يختارون في الاغلب جملا أبيضاً للتضحية به^(٢٦) و أن بعض جوانب تلك المعتقدات لاتزال موجودة في أيامنا الحاضرة، بالنسبة للتضحية بالحيوانات .

و كان لهذا الصنف من الاطباء مكانة رفيعة في مجتمع بلاد الرافدين ،فقد أعتقد السكان أن (الاشيبو) يقوم بدور الوسيط بين المريض و الاله لمعالجة المرضى و أنه ينطق بكلمة الاله^(٢٧) أذ يتضمن عمل هذا النوع من الأطباء تشخيص المرض و يتم ذلك بتحديد العضو المصاب من جسم المريض،مع ذكر أسباب المرض سواء أكانت شيطانية أو عقوبة ألهية ، أذ أن التعزيم الذي يقوم به الطبيب (الاشيبو) هو :أول إجراءات التداوي الديني بعملية طرد الشر الذي دخل جسد المريض، لذا فإن كل الطقوس التي يقوم بها الطبيب المذكور تتم بقراءة تعاويذ معينة أعدت لهذا الغرض،كما كان يعطي المريض بعض الأدوية ذات الطابع السحري مركبة من المخاط و المواد العفنة بل و حتى البراز، لتعمل على هزيمة الشر الذي أصاب الجسم^(٢٨) ،فقد كان الطبيب المعزم يستخدم في عمله الطبي نوعا من السحر الكهنوتي المفيد و النافع لمعالجة المرضى ،لهذا فقد كان هذا الطبيب يقوم بالعمل الذي يمارسه أطباء الاختصاصات النفسية في الوقت الحالي، و هذا ما أكدته فؤول المعالجات الطبية و التي نقرأ منها مانصه:

((إذا رأى المعزم كلبا أو خنزيرا أسود فسيموت المريض، إذا رأى المعزم خنزيرا أبيض فسيعيش المريض، إذا سقطت أفعى على فراش المريض فسيشفى ذلك المريض، إذا سقطت عقرب على مريض فإنه سيموت في اليوم العاشر، إذا لازمت عقرب من غير أنقطاع وسادة مريض فإن مرضه سيتركه، إذا صرخ رجل مريض بغير انقطاع جمجمتي فأنها يد الاله، إذا ما تألم من رأسه و أحمرت عضلات حاجبيه و يديه و رجليه و أخذت تحرقه فإن تلك هي يد أحد الآلهة و سيعيش، إذا كان حاجباه أبيضين و لسانه أبيض فإن مرضه سيطول لكنه سيشفى، إذا أستمروا المرض أربعة أيام و بقي المريض يضع يده على بطنه (من شدة الألم) و كان وجهه مصفرا فإنه سيموت، إذا بعد أربعة أو خمسة أيام ظل يعرق فسيخف المرض، إذا كانت حلمتا ثديي امرأة حامل مصفرة فأنها ستسقط ما في بطنها))^(٢٩)

و كانت أعمال الطبيب الأشيبو بشكل عام في مختلف العصور تتلخص بما يلي:

- ١- تحضير ما يتطلب من مواد للقيام بممارسات لرقية المصابين عن طريق قراءة التعاويذ و عمل التمام من أنواع مختلفة من المواد العضوية كالخشب و القماش و بعض المواد المعدنية و الطين ٠٠٠ الخ .
- ٢- عمل أرطبة من الخيوط ذات الالوان المختلفة لربط المواد العلاجية و الوصفات المحضرة سلفا على المناطق المصابة في جسم الانسان المريض ،أذ نقرأ مثلا: ((أنسج صوفا أحمر و صوفا أبيض ثم عمل حبلا، و عقد سبعا و سبع عقد أخرى و ربط العقاقير بصوف أحمر و كرر التعويذة سبع مرات، و ربط التعويذة الملفوفة على الجبين بالحبل، و اذ عمل كل هذا فان المريض سوف يعيش))^(٣٠)
- ٣- تهيئة التماثيل الآدمية التي تبدو أشكالها قريبة من أشكال الضحايا المصابين لغرض أبعاد خطر الموت عن المريض .
- ٤- الاشراف بشكل مباشر على تهيئة ضحية حيوانية للتضحية بها كبديل عن الشخص المريض .
- ٥- القيام بممارسات و أنشطة سحرية بضمنها خلط الادوية خاصة المكونة من الاعشاب بالماء .
- ٦- تطهير الأماكن الخاصة في المعبد ليتم فيها معالجة المصابين من الناس .

• تحضير كل ما تحتاجه طقوس طرد المرض من مواد تدخل في عملية عمل الادوية أو تبخير المكان الذي تجري فيه تلك الطقوس و رشه بالماء أو فيما يتعلق باللباس الذي يرتديه الكاهن أثناء تأدية عمله ،فقد كان ذلك الكاهن يلبس رداءا ذي لون أحمر ، ثم تبدل الى اللون الابيض عند أطباء الـ (آزو / آسو) و هو نفس اللون الذ يرتديه أطبائنا اليوم ^(٣١) و يبدو أن (البارو) و (الاشيبو) قد حاولوا أن يستمران بمنافسة الطبيب السريري أي (الآزو/الآسو) خاصة عند الآشوريين، لذا أدخلوا الفلك و التنجيم للمساعدة في تشخيص الامراض و محاولة علاجها، فربطوا بين كل جزء من أجزاء الجسم البشري و بين برج من الابراج الاثني عشر، و ربطوا النجوم بالولادات و بالموت والشفاء و السعادة ^(٣٢) و كانت علاقة الأطباء من صنف (البارو) و (الاشيبو) مع الاطباء من صنف (الازو/ الآسو) في بلاد الرافدين مثل علاقة (أبوقراط) مع كهنة الاله (Asclepius) عند قدماء الرومان ^(٣٣) و عالج الاطباء الكهنة من الاصناف المذكورة مختلف الامراض خاصة النفسية منها إذ أنهم عالجوا حالة طحن الاسنان أثناء النوم، و يرجع الاطباء الكهنة من البابليين سبب طحن الاسنان الى تأثير السحر التعاطفي المتصل بالعداوة ،لذا فإن استخدام جمجمة بشرية في اعتقادهم يؤدي الى موت تلك العداوة ،أذ نقرأ ((اذا رجل يطحن (أو مشابك) أسنانه في نومه، أنت تأخذ جمجمة أنسان و تغسلها ثم تدهنها بالنفط، و لسبعة أيام يبقى المريض على سريره في الظل وكل يوم قبل أن ينام هو يقبل تلك الجمجمة لسبع مرات ،سوف يتعافى،)) ^(٣٤)

الطبيب (المعالج الجسدي)

الـ (آزو /AZU/آسو asû):

ان أصل المفردة الأكديـة الـ (آسو asû) التي تعني الطبيب هو تعبير عن المفردة السومرية الـ (AZU) الأقدم تاريخياً، والتي تعطي معنى العارف بالماء الذي يستخدم السوائل في علاج المرضى، و التي تعود بتاريخها الى حوالي الألف الثالث قبل لميلاد ^(٣٥) يبدأ عمل هذا الصنف من الأطباء بعد أنتهاء عمل الطبيبين (البارو و الأشيبو)، إذ يقومون بترميم الجزء المادي من الأنسجة التي تضررت من المرض الذي أصاب المرضى، عن طريق المعالجة بالمواد العشبية المستخرجة من النباتات و المستحضرات الحيوانية و بعض المواد المعدنية التي فقدها المريض

أثناء مرضة^(٣٦) و من المواد التي أستخدمها الطبيب الجسدي ،هي مواد حيوانية و تشمل منتجات الالبان والحليب و صدفة السلحفاة و أملاح معدنية مثل ملح الطعام و نترات البوتاسيو، و مواد نباتية مثل نبات الآس و الزعتر و الصفصاف و ثمار بعض النباتات مثل التين و الكمثرى، كما أستمعمل الطبيب (الأسو) أيضا أوراق و أغصان و أثمار الأشجار و جذور النباتات ،و كذلك أستمعمل العسل و الماء و البيرة وبعض أنواع العصائر في علاج أجساد المرضى ،و ورد أستمعال نبات الخشخاش بكونه مادة مخدرة ،علما أن تك المادة كانت عملية أستخدمها في تحضير الدواء حكرا على أطباء المعبد من (البارو و الاشيبو) في العصور السومرية المبكرة، وهذا ما ذكرته بعض النصوص السومرية التي تعود بتاريخها الى حوالي (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد،^(٣٧) و كانت الأدوية المستخرجة من الاعشاب و مواد الطعام المختلفة خاصة الفواكه و الخضار أكثر أنتشارا و أوسع أستمعالا، اذ بلغت كميات المستحضرات المستخرجة منها بالمئات، و كان هناك أستمعال للنباتات النادرة التي كانت في الغالب غير متوفرة محليا، لذا كان يصار الى جلبها من مناطق بعيدة نسبيا ،كما زرعت بعض النباتات الطبية المحلية في مزارع خاصة،و أن أحد أسباب الاهتمام بالمواد الغذائية و النباتية كان بسبب أستمعاليها في معالجة الامراض التي تتطلب حمية غذائية خاصة ،فقد كان الاطباء يوصون مرضاهم بأكل أنواع معينة من الفواكه و الخضار النباتية مثل التفاح و الاجاص و البصل و الثوم و الجزر و الحنطة الرومية ،و كذلك مختلف أنواع العصائر و الدبس و شراب الشعير لقدرتها على علاج الكثير من الامراض ، كما أستخدم في تصنيع الادوية مختلف أنواع الاسماك النهرية و البحرية ،أضافة لدم الحيوانات ،و مشتقات ألبانها من الحليب و كذلك لحومها و عظامها ،و دخلت لحوم الطيور و بيضها أيضا في هذا المجال الطبي،كما كان للأحجار مكان في تحضير تلك الوصفات ،أذ أستخدم الجص و الكلس و الكبريت و الشب و النحاس و الاملاح المعدنية و القصدير و الصوديوم أيضا،و بذلك يمكننا أن ندرك فضل أطباء بلاد الرافدين في الوصفات الدوائية المعاصرة التي تعود بجذورها الى عبقرية ما أنتجوه من علم الادوية و المستحضرات الطبية^(٣٨) و كانت شجرة (الأرز) من أهم الأشجار التي تم تحضير الدواء منها ،و هي الشجرة التي تنمو في المرتفعات الجبلية ،اذ تتميز تلك الأشجار بكونها كبيرة الحجم و دائمة الخضرة و بطيئة النمو و ثمارها من النوع المخروطي،لذا فقد حضر الطبيب ال (آزو / آسو) من أخشابها عدة مواد طبية مثل (زيت هيدرات الترينتين) و هو علاج شائع

لأنواع الزكام و السعال و علاج الروماتزم،كما ذكرت النصوص الآشورية شجرة أخرى كانت ذو أهمية خاصة دعيت بشجرة (العرعر) وهي من الشجيرات ذات النبات الشوكي و يدخل ورقها و ثمارها و القمم الطرفية فيها في المعالجات الطبية،أذ تحتوي الاوراق و الاثمار على (زيت العرعر) المفيد في معالجة الاسهال، أذ يستخدم مع أوراقها المطحونة كمضاد حيوي للألتهابات الجلدية و الجروح المتقيحة و توسيع القنوات البولية و تنقية الدم و طرد الغازات،كما حضر الطبيب المذكور من شجرة (الكاد) بعض المواد و المستحضرات الطبية لمعالجة الأكرزما و جرب المواشي ،و أيضا أستخرج عدد من المواد من أشجار و نباتات أخرى منها على سبيل المثال نباتات الزعرور و شجر السرو لمعالجة وقف النزيف و التشنج و الانيميا و السعال الديكي و الأسهال، و كان مسحوق ثمار تلك الشجرة يستخدم مع الماء لتسكين آلام اللثة و الاسنان بأستعماله كغزغرة ،و يعمل ذلك المسحوق أيضا على أدرار البول و التأم الجروح كونه مضاد حيوي مطهر^(٣٩) لقد كان أطباء هذا النوع يشخصون المرض ثم يعدون الوصفات الطبية لمعالجته وفق منهج قد تدرّبوا عليه سابقا، فمثلا إذا أصاب المعدة أنتفاخ كبير و ألم مع تقيء يتم معالجة هذه الحالة المرضية بتناول الكيك المطحون المشوي و يمنع المريض من تناول العسل أو الدهون أو البصل أو الثوم أو بذور الرشاد، و يجب أن لا يستحم و سوف يتعافى، كما عرف الاطباء المذكورين أمراض داء السكر و الجذام و التايفوئيد و شخصوا أيضا مرض التراخوما^(٤٠) و برعوا بعلم التشريح و معرفة الاعضاء الداخلية مثل القلب و تعاملوا مع الاعصاب و شخصوا أوتار العضلات و النسيج و أمراض الرئة و الزحار الاميبي، أذ كان من شروط هذا المرض الاخير هو الاسهال و ميزوا بينه وبين مشاكل عدوى ألتهاب القولون التقرحي،علما أن الزحار الاميبي كان مرضا شائعا في مناطق جنوب بلاد الرافدين القديمة ،و أيضا عرفوا مرض ألتهاب الكبد،و أستخدموا في علاج تلك الامراض وغيرها مواد عدة منها البيرة و العسل و النفط و الطحين المعجون بالماء الساخن،كما توصلوا الى إمكانية تجبير الاضلاع المكسورة،و عالجوا كذلك السل الرئوي الذي دعوه بحمي الـ (šētu) ،و أشاروا الى ان أعراض المرض المذكور تتميز بالحرارة غير العالية لكن بسعال مستمر مع أجهاد في الأعضاء الداخلية و خروج لعاب المريض كما تتلوى أمعائه و يتدفق دم من فمه،و تعامل أطباء (الأسو) أيضا مع مرض الملاريا و البلهاريزيا و فقر الدم الذي كان من أعراضه ضعف مقاومة الجسم للأمراض و ألتهاب السحايا الذي كان من أعراضه وفق تشخيص أطباء هذا النوع صعوبة المشي و

تصلب الأطراف و ارتخاء السيقان لتأثيره على الحبل الشوكي و أقرؤا بأنه ناتج عن و باء أو أصابة جرثومية، أما مرض الصرع فقد دعوه الاطباء البابليين بـ (miqtu) و وصفوه بمرض السقوط، كما شخصوا صعوبة الولادة عند المرأة الحامل و أطلق عليه (عسر الولادة)، الذي عالجه بزيت السمسم المخلوط بالماء، و عرفوا مسائل الاجهاد و أنواع من الحمى خاصة تلك التي تسبب موت الجنين في بطن الأم ، و التي غالبا ما كان سببها هو الاصابة بمرض الانكلستوما الذي كان منتشرا في مدن بلاد الرافدين الجنوبية^(٤١) و قد ورد ذكر لبعض الأجهزة الطبية التي أستعان بها أطباء هذا النوع في تحضير الوصفات، و هي عبارة عن أواني للخن و أجهزة للوزن مثل الميزان و المصافي و بعض الطاسات لخلط المواد و مباحث^(٤٢) و المشارط الجراحية و المنشار الطبي و الملاقط و العدسات الطبية، كما أستخدمت الأبر و المبارد الصغيرة و الشاش و الجبائر الخشبية الجاهزة لمعالجة الكسور و ألتهابات الاوتار مع وصفات تدليك الاطراف و عضلات الصدر و الظهر و القسم العجزي بمراهم مختلفة، إضافة الى نصائح طبية بممارسة التمارين الرياضية^(٤٣) و كانت لهؤلاء الاطباء مراسيم خاصة يصبح الطبيب بموجبها قادرا على ممارسة المهنة منها مثلا ترديد القسم أو يمين الولاء الذي يؤديه الاطباء في العصر الحاضر، كما حصل الأطباء في هذا الصنف على درجات و مراتب تحددها طبيعة المهام التي يقومون بها، أذ دعي رئيس الأطباء بـ (rab âsi) ، و أيضا كان لأطباء (الأسو) مجالس معترف بها في بلاد آشور، خاصة في العصر الآشوري الحديث، الذي يمثل العصر الذهبي لهذه المهنة، و نتيجة لتقدم العلوم الطبية فقد ذكرت بعض المصادر أنه كانت توجد بعض المدارس الطبية العليا المتخصصة في كل من بارسبا و الوركاء^(٤٤) و قد لعبت تلك المدارس التي كانت تمول من الدولة دورا عظيما في تهيئة الاطباء في بلاد الرافدين ، أذ خصص للطلبة من الاطباء الدارسين كل ما يحتاجونه من مراجع و مستلزمات دراسية مختلفة، كما أصدرت تلك المدارس موسوعات طبية خاصة أتاحت الامكانية للأطباء الآشوريين والبابليين لتصنيف العلوم و تحديد الاعراض و الاسباب المرضية و تشخيصها و التنبؤ بالامراض و علاجها، و بالرغم من أن السلطات الرسمية في بابل و آشور قد منعت تشريح الجثث لاغراض دراستها، فقد أوجد الاطباء الدارسين طريقة أخرى لزيادة معارفهم الطبية في تخصص علم التشريح الطبي و تصنيف الاعضاء البشرية، عن طريق ذهابهم الى ساحات المعارك أثناء الحروب و أكمل عملهم الدراسي على جثث القتلى، و علاج أجساد الجرحى، و هكذا ولد تدريجيا ما يمكن أن

ندعوه بـ (الجراحة الميدانية للطب العسكري) ^(٤٥)، و قد دربت تلك الكفاءات الطبية في مدارس ملحقة بالمعابد، أذ وجدت بعض الأشارات التي تشير الى التعليم الطبي في الألواح القرصية المدرسية ، التي ركزت على أنواع الفحص الطبي الذي يقوم به الطبيب الديني الـ (أشيبو) و الطبيب السريري الـ (آزو/آسو) ^(٤٦) أذ ظهرت أرشيفات معبدية من مكتبة (آشور بانيبال) أن هناك ألواح كتابية تضمنت أسئلة كانت بمتناول أيدي الكهنة الذين يرغبون بتعلم قراءة الطوالع في دراستهم المعبدية ^(٤٧) و أشارت بعض المصادر الطبية الى وجود عدد قليل من الطبيبات النسائيات اللاتي نادرا ما ذكرت أسمائهن قد مارسن في الغالب معالجة الامراض النسائية الناتجة عن المعاشرة الجنسية مثل التقرحات و الالتهابات الداخلية التي تحصل عند النساء ، أذ ورد ذكر لبعض الآلهة الاناث اللاتي تم تصنيفهن كطبيبات مثل الآلهة (كولا Gula) التي تحمي الاجساد من الامراض و تشفي الناس ، و يقابل هذا شرح لعدد غير قليل من الآلهة الذكور الذين كان يتضرع اليهم لمعالجة الناس من أمراضهم، وكان اله الماء (أنكي ENKI / أيا ea) أهمهم ^(٤٨)

ونجد في اقتباس من أحد النصوص لطبيب يفتخر فيه بنفسه ملخص للتعريف بهذا الصنف من الأطباء أذ نقراً :

((أنا طبيب ،أنا يمكن أن أشفي ،أحمل كل مواد (الشفاء) من الأعشاب،أبعد مرضاً،أربط بنفسى الحقيقية الجلدية التي تحتوي العلاج،أعطي صحة،أحمل النصوص التي تجلب التحسن ،أعطي العلاج الى البشرية ،تخفف ضماداتي المعقمة الجروح،ضمادي الناعم يشعر المرضى بالارتياح)) ^(٤٩) كما يوضح اقتباس آخر مستوى مقدرة أطباء هذا النوع من خلال رسالة أخرى من العصر البابلي الوسيط تتضمن توصيات الطبيب الذي يعالج بعض المرضى و هو يخاطب شخص بصفة موظف كبير أذ نقراً:

((أرى الى سيدي [هكذا (أقول)] خادمك: أنا مستعد المريض الذي صدره مريض يوصف له الضماد ، و يبقى مضمد و يأخذ جرعة،و الآخر الذي صدره، عشب كانت متوفرة، و يعرف سيدي ذلك أذا فقط عشب وحيدة مفقودة، و سوف لن ينجح . أنا طلبت من حاكم المدينة إرسال العشب الى البستاني الذي عنده سعال لكن لا يبصق خارجا أبدا ،و يشرب جرعة و أذا تكررت هجمات الحمى على الاميرة ، تأخذ جرعة من الاعشاب التي تكلمت مع سيدي حولها)) ^(٥٠)

و نقرأ في رسالة تتضمن تحديد الامراض المعدية من قبل الطبيب ما يلي:

((اكلم شيبيتو ،أنا مولاك (زمري- ليم) سمعت أن المرأة نانامه مريضة بالحمى، مكثت طويلا في القصر و أتصلت بالكثير من النساء الاخريات، و الآن أتخذوا إجراءات مشددة: يجب الا يشرب أحد من القدح الذي شربت منه، و يجب الا يجلس أحد على المقعد الذي جلست عليه،ويجب الا يستلقي أحد على الفراش الذي أستلقت عليه،و يجب الا تتصل بالنساء الاخريات الكثيرات،تلك معدية))^(٥١)

ثالثا:أهم الأحكام الخاصة بالأجور و العقوبات والاهمال أو الأخطاء الطبية

لقد نظمت الأجور و العقوبات الناتجة عن الاخطاء الطبية بقانون أخذ المنزلة الاجتماعية للشخص المريض بنظر الاعتبار عند حدوث خطأ ما، لذا فقد فرقت تلك القوانين بين المريض من الطبقة الاجتماعية الراقية الـ (أويلم awelum) و بين الطبقة الفقيرة من الـ (موشكينم muškenum) ،و أيضا ذكرت طبقة العبيد من الـ (وردوم wardum) ،ونصت تلك التشريعات القانونية على حق الحكومة خاصة عند البابليين في التفتيش على عمل الطبيب،فقد كانت هناك لجنة تتخذ بحق الاطباء المخالفين قرارات العقاب البدني^(٥٢) كما نصت تلك القوانين أيضا على عدم تحمل الطبيب لمسؤولية موت المريض نتيجة للمعالجة الفاشلة ما لم يستخدم سكيناً في عمله^(٥٣) ، لقد ميزت القوانين الرافدينية منذ الالف الثاني في تشريعاتها بين الطبيب و الجراح و البيطري،لذا فقد وضعت ضوابط تنظم عمل هذه المهنة من قبل المشرعين ،و هذا ما نجده في قانون حمورابي ،اذ نصت المادة (٢١٥) من القانون المذكور على أن ((أذا جرى جراح عملية كبيرة لنبييل من النبلاء بمبضع من البرونز، و أنقذ حياة النبييل،و إذا فتح محجر عين نبييل من النبلاء بمبضع من البرونز و أنقذ حياة النبييل، ،فيأخذ عشرة شيقلات من الفضة أجرة له،أما إذا تسبب في موت ذلك النبييل أو تلف عينه فنقطع يد الجراح)) كما ذكرت المادة(٢٢١) من نفس القانون أنه ((أذا جبر جراح عظيم لنبييل من النبلاء أو أنه عالج عضلا ملتويا فشفاه،فعلى المريض أن يدفع خمسة شيقلات من الفضة أجرة الجراح))، أما فيما يتعلق بالطبيب البيطري فقد نص ذلك القانون على أنه ((أذا أجرى جراح بيطري عملية كبيرة على ثور أو حمار،و أنقذ حياته،فيدفع مالك الثور أو الحمار الى الجراح البيطري ٦/١ شيقل من

الفضة أجرة له)) و أيضا ورد بخصوص الطبيب البيطري أنه ((أذا أجرى عملية كبيرة على ثور أو حمار و تسبب عن ذلك الموت، فإنه يعوض مالك الثور أو الحمار بمقدار ربع ثمنه))^(٥٤)

و نصت القوانين الآشورية والبابلية على عقوبة الأذى الجسدي للطبيب الذي يتسبب بموت مريض بقطع يده، أذ نقرأ في المادة (٢١٨) من قانون حمورابي ((أذا سبب الطبيب و هو يفتح بسكين برونزية جسد مريض ما الموت لهذا الانسان، أو وهو يزيل الماء الأزرق من عين مريض ما بسكين برونزية تسبب في أعطال عين هذا الانسان فيجب قطع يده))^(٥٥)

كما ورد في القوانين البابلية ذكر لعقوبة الجراحات المنحرفة أو الجراحات التي أجريت بمباضع الأطباء، و أدت الى عوق المرضى، مثل جراحات العيون و جراحات أخشاء العبيد و ما يترتب عليها، لذا كان الطبيب الجراح من هذا الصنف يستخدم الوسائل العلمية الصحيحة في معالجة الجروح، أذ يقوم بغسلها بمادة من السوائل المطهرة و هي غالبا ما تتكون من البيرة والماء الدافئ، كما يتم استعمال بعض المراهم المستخرجة من بعض المواد المعدنية والنباتية، و استخدم الأطباء أيضا الصابون الطبي الذي تم صنعه لهذه الاغراض من مرهم الرانتيج، و أيضا ذكرت بعض الضمادات التي يهيئها الطبيب لمعالجة الضلوع و تخفيف القيح، و خاصة عمليات سحب القيح من تحت فروة الرأس و قشط العظام المريضة التي تؤثر على الجمجمة، و من خلال هذه المعلومات الواردة في النصوص نستدل على أنه كان للطبيب الجسدي المدعو بال (آزو / آسو) اطلاع واسع و باع طويلة في معالجة مختلف الأمراض، و بهذا يكون أطباء بلاد الرافدين قد سبقوا الاطباء من الفراعنة الذين سجلوا ملاحظاتهم على أوراق البردي بزمن طويل، كما سبقوا الطبيب المدعو (هيبوكراتيس Hippocrates) أذ أن النصوص الأثرية المكتشفة تدل على ورود مفردة (آزو AZU) السومرية قبل الألف الثالث مما يؤكد على أن الطب الرافديني كان قديما و موغلا في القدم، أذ أشار السومريون الى الشخص العارف بالماء بـ (A-ZU) و التي غالبا ما عبرت عن التكهن الديني في مجال الشفاء، فقد أكدت الالواح الكتابية أنه بحلول الـ (٣٠٠٠ ق م) و ما بعده كان هناك بدائل طبية متطورة نسبيا عن العلاج الكهنوتي، و كما هو ثابت في تفاصيل الوصفات الصيدلة التي ذكرتها النصوص المصاحبة لتلك الحقبة الزمنية^(٥٦)

و نورد بعض أهم المواد المتعددة التي أشارت للاطباء في قانون حمورابي و منها :

- ١- المواد (٢٢١-٢٢٣) و هي المواد التي أشارت الى مقدار الأجرور التي يتقاضاها الشخص الذي يقوم بتجبير الكسور و الذي دعي بالمجبر
- ٢- المادة (٢٢٤) المتعلقة بأجرور ما يدعى بالجراح البيطري
- ٣- المادة (٢٢٥) المتعلقة بأجرة الطبيب البيطري
- ٤- المواد (٢٢٦-٢٢٧) و هي المواد التي تحدثت عن الواسم أي الشخص الذي يقوم بوسم العبيد و كان هذا العمل من اختصاص الحلاق، و تطرقت تلك المواد أيضا الى العقوبة التي تنال الواسم في حلة تغيير شكل العبد^(٥٧)

و يبدو أن العقوبات قد ركزت على المخالفات الجراحية بشكل عام، لذا نستشف من ذلك أن علم الجراحة و العمليات الجراحية كانت تمارس على نطاق واسع، و هذا ما أكدته بعض الهياكل المكتشفة في موقع (أبو الصلابيخ) الذي يعود بتاريخه الى حوالي الالف الثالث قبل الميلاد إذ أجريت على تلك الهياكل العظمية جراحات خاصة بالعمود الفقري^(٥٨)

الخلاصة

لقد توصل أطباء سكان بلاد الرافدين في مجال العلوم الطبية في زمن مبكر الى نتائج غاية في الدقة و البراعة، سواء على صعيد تشخيص الكثير من الامراض النفسية التي غالبا ما تمت معالجتها عن طريق التكهن الديني بواسطة أنواع معينة من الكهنة مثل كاهن الـ (مشماشو MašMAŠU) و الـ (أشيپو āšipu) و الـ (بارو bârû)) الذين كانوا يعالجون الناس عن طريق الرقي و التعاويذ السحرية مع أستعمالهم أيضا لبعض المواد النباتية أو المواد المعدنية في سبيل أتمام عملهم الذي يمكن تعريفه بأنه كان النواة الأولى في طريق من جاء بعدهم من المعالجن الجسديين من صنف الـ (أزو AZU) و الـ (أسو asû) الذين شخصوا علاجاتهم أعتقادا على ما كان يظهره جسد المريض من علامات مرضية يستدل من خلالها على نوع العلة و كيفية معالجتها، لذا فإن الباكورة الأولى للعلم الطبي في بلاد الرافدين كان يعود الفضل فيها للكهنة السومريين الأوائل ثم أكتمل هذا الطب على أيدي أقرانهم من الأكديين الذين طوروه و أضافوا عليه الكثير حتى أصبح علما يحتوي الكثير من المفاهيم الطبية التي غالبا ما يتناوله الطب الحديث، في مختلف المجالات الطبية على مستوى تحضير أنواع مختلفة من الوصفات العلاجية التي أدخلوا فيها مواد نباتية و حيوانية و أملاح معدنية، أو على مستوى

معرفة أولئك الاطباء بمدة حضانة المرض أو ممارسة أنواع مختلف من الجراحات و كيفية معالجتها ، و أيضا توصل الاطباء في بلاد الرافدين الى أهمية الالتزام بحمية الطعام و ممارسة الرياضة التي تقي من تدهور صحة الإنسان ، و أطروا كل هذا النتاج الطبي بقوانين و تشريعات تحكم عمليات ممارسة منة الطب وفق ضوابط قانونية حددوا فيها حق المريض نتيجة للأهمال الطبي، و أجر الطبيب سواء البشري أو البيطري الذي كان يعالج الحيوانات ، فأنتجوا بذلك أسسا علمية لطب مبكر سبقوا به من عاصرهم من الاقوام و الشعوب المحيطة و أنتقلت بعض تفاصيله خارج الحدود ،علما أن الكثير من تلك المفاهيم الطبية لا يزال يمارسها أطبائنا اليوم .

الهوامش

- ١- البديري، عبد اللطيف، الطب عند العرب، بغداد، ١٩٧٨، ص ٣-٤
- 2- Andersen, J., Diagnoses in Assyrian and Babylonian Medicine ,Oxford,2010,p.1,6
- 3- Johna, A., Crime and Punishment in Ancient Surgery: An Examination of Assyrian and Egyptian physicians, London, 2015, p.75
- 4- Magner, L., A History of Medicine, New York, 1992, p.18
- 5- Shaked, S., Official Magic Essays on the Practice of Magic in Antiquity, USA, 2005, p.302
- ٦ - الماجدي، خزعل، بخور الآلهة: دراسة في الطب و السحر و الأسطورة والدين، عمان، ١٩٨٨، ص ١٤٩-١٥٠
- 7- Jastrow, M., Babylonian-Assyrian Birth-Omens, Philadelphia, 1914, p.3
- ٨- البديري، عبد اللطيف، الطب عند العرب ،مصدر سابق، ص ٤-٥
- ٩- عبد، نسرين أحمد و عبد هيفاء أحمد، معالجة بعض أمراض العيون و الاسنان و الأذان في الطب الآشوري، مجلة دراسات موصلية، العدد ٣٤، لسنة ٢٠١١، ص ١٣٩
- ١٠- هوك، س، ديانة بابل و آشور، ترجمة نهاد خياطة، دمشق، ١٩٨٧، ص ٨٢
- Henry, J., The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the university of Chicago, 1959, CAD, B.2, pp, 121-125
- ١١- الماجدي، خزعل، بخور الآلهة، مصدر سابق، ص ١٥٢، ٢٤٤
- لابات، رينيه، التشخيص و الانتذار في الطب الأكدي، ترجمة عبد اللطيف، البديري، بغداد، ١٩٧٦، ص ٤
- 12- Paulissian, R., Medicine in Ancient Assyria and Babylonia, Tehran, 1960, p.7

١٣- الأحمّد، سامي سعيد، معتقدات العراقيين القدماء في السحر و العرافة و الاحلام و الشرور، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢، ١٩٧٥، ص ٧٥-٧٦

-Walker, J., Religious and Moral Ideas in Babylonia and Assyria, London, 1919, p.86

١٤ - الماجدي، خزعل، بخور الآلهة، مصدر سابق، ص ٢٤٧-٢٤٨، ٢٥١

- لابات، رينيه، التشخيص و الانذار في الطب الأكدي، مصدر سابق، ص ٥٣

١٥- الأحمّد، سامي سعيد، معتقدات العراقيين القدماء في السحر، مصدر سابق، ص ٧٩

١٦- لابات، رينيه، التشخيص و الانذار في الطب الأكدي، مصدر سابق، ص ١٠٣

١٧- أوينهايم، ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد، ١٩٨١، ص ٢٦٧

١٨- الماجدي، خزعل، بخور الآلهة، مصدر سابق، ص ٢٧٧

١٩- ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص ٤٠١

٢٠- بكر، السيد يعقوب، الحضارات السامية القديمة، القاهرة، بدون تأريخ، ص ٢٦٥

-Henry, J., The Assyrian Dictionary,, CAD, 1: 11, p.431

٢١- بكر، السيد يعقوب، الحضارات السامية القديمة، مصدر سابق، ص ٢٦٥

٢٢- الاحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بيروت، ٢٠١٣، ص ٥١

٢٣- يحيى، أسامة عدنان، السحر و الطب في الحضارات القديمة، بغداد، ٢٠١٥، ص ٢٦٢

٢٤- يحيى، أسامة عدنان، السحر و الطب مصدر سابق، ص ٢٦٦-٢٦٨

25-Jastrow, M., Babylonian-Assyrian Birth...., p.64

٢٦- سميث، روبرت، محاضرات في ديانة الساميين، ترجمة عبد الوهاب علوب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٥٦

27-Sigerist, H., History of Medicine Primitive and Magic Medicine, New York, 1970, pp.467-468

٢٨- الماجدي، خزعل، بخور الآلهة، مصدر سابق، ص ٣٥٥-٣٥٧

٢٩- الراوي، فاروق ناصر، العلوم و المعارف، حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٣٠-٣٣٣

٣٠- الماجدي، خزعل، بخور الآلهة، مصدر سابق، ص ٣٦٨-٣٦٩

٣١- الماجدي، خزعل، بخور الآلهة، مصدر سابق، ص ٣٦٩

٣٢- الماجدي، خزعل، بخور الآلهة، مصدر سابق، ص ١٧٧

33- Teall, E.K., Medicine and Doctoring in Ancient

Mesopotamia, London, 2014, p.77

34- Kinnier, w., Mental Diseases in ancient Mesopotamia, London, 1967, p.137

35-Biggs, R.D., Medicine in Ancient Mesopotamia, Chicago, 1969, p.105

٣٦- الماجدي،خزعل،بخور الآلهة،مصدر سابق،ص٣٥٦-٣٥٧

37- Teall,E.K.,Medicine and Doctoring.....,p.91-92

٣٨- سازونوف،أ وماتقييف،ك،حضارة ما بين النهرين العريقة،ترجمة حنا آدم،موسكو،١٩٨٦،ص١٣٦-١٣٧

٣٩- شيت،أزهار هاشم، و علي،صمود حسين،بعض الوسائل المستخدمة لمعالجة الامراض في بلاد آشور،مجلة دراسات موصلية،العدد٣٤،٢٠١١،ص١٢٣-١٢٤

40- Kinnier, w,Mental Diseases in ancient Mesopotamia.....,p.138-139

41- Kinnier, w,Mental Diseases in ancient Mesopotamia....,p.135-137

42-Barbara,B.,when you Perform the Ritual of ,Rubbing: on Medicine and Magic in Ancient Mesopotamia,JNES,62,2003,p.7

٤٣- سازونوف،أ وماتقييف،ك،حضارة ما بين النهرين العريقة،مصدر سابق،ص١٣٨

٤٤- الراوي،فاروق ناصر،العلوم و المعارف،مصدر سابق،ص٣٣٦-٣٣٧

٤٥- سازونوف،أ وماتقييف،ك،حضارة ما بين النهرين العريقة،مصدر سابق،ص١٣٦

46- Teall,E.K.,Medicine and Doctoring,.....,p.77

47-Jastrow,M.,Babylonian-Assyrian Birth,p.7

48- Biggs,R.D.,Medicine in Ancient Mesopotamia,.....,p.99

49- Biggs,R.D.,Medicine in Ancient Mesopotamia,.....,p.104-105

50-Biggs,R.D.,,"Medizin" in Reallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Archäologie.8,1990,p.577

٥١- دالي، أستيفاني،ماري و كارانا مدينتان بابليتان قديمتان،ترجمة كاظم سعد الدين،بغداد،٢٠٠٨،ص١٨٨-١٨٩

52- Teall,E.K.,Medicine and Doctoring,.....,p.77,91

53-Biggs,R.D.,,"Medizin" in Reallexikon der,p.572

٥٤- الراوي،فاروق ناصر،العلوم و المعارف،مصدر سابق،ص٣٢٦-٣٢٧،٣٣٥-٣٣٦

٥٥- سازونوف،أ وماتقييف،ك،حضارة ما بين النهرين العريقة،مصدر سابق،ص١٣٦

56- Barbara,B.,when you Perform,.....,p.7-8

٥٧- الماجدي،خزعل،بخور الآلهة،مصدر سابق،ص١٦٥

المصادر

أ- المصادر العربية:

- ١- أوبنهايم، ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد، ١٩٨١
- ٢- الأحمد، سامي سعيد، معتقدات العراقيين القدماء في السحر و العرافة والاحلام و الشرور، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢، ١٩٧٥
- ٣- الاحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بيروت، ٢٠١٣
- ٤- بكر، السيد يعقوب، الحضارات السامية القديمة، القاهرة، بدون تاريخ
- ٥- البدري، عبد اللطيف، الطب عند العرب، بغداد، ١٩٧٨
- ٦- دالي، أستيفاني، ماري و كارانا مدينتان بابلتانيان قديمتان، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠٨
- ٧- لراوي، فاروق ناصر، العلوم و المعارف، حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥
- ٨- سازونوف، أ. و ماتفييف، ك.، حضارة ما بين النهرين العريقة، ترجمة حنا آدم، موسكو، ١٩٨٦
- ٩- ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩
- ١٠- سميث، روبرت، محاضرات في ديانة الساميين، ترجمة عبد الوهاب علوب، القاهرة، ١٩٩٧
- ١١- شيت، أزهار هاشم، و علي، صمود حسين، بعض الوسائل المستخدمة لمعالجة الامراض في بلاد آشور، مجلة دراسات موصلية، العدد ٣٤، ٢٠١١
- ١٢- عبد، نسرين أحمد و عبد هيفاء أحمد، معالجة بعض أمراض العيون و الاسنان و الأذان في الطب الآشوري، مجلة دراسات موصلية، العدد ٣٤، لسنة ٢٠١١
- ١٣- الماجدي، خزعل، بخور الآلهة: دراسة في الطب و السحر و الأسطورة و الدين، عمان، ١٩٨٨
- ١٤- هوك، س، ديانة بابل و آشور، ترجمة نهاد خياطة، دمشق، ١٩٨٧
- ١٥- يحيى، أسامة عدنان، السحر و الطب في الحضارات القديمة، بغداد، ٢٠١٥

ب - المصادر الاجنبية:

- 1-Andersen,J.,Diagnoses in Assyrian and Babylonian Medicine ,Oxford,2010
- 2-Biggs,R.D.,Medicine in Ancient Mesopotamia,Chicago,1969
- 3- Biggs,R.D., "Medizin" in Reallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Archäologie.8,1990

- 4- Barbara,B.,when you Perform the Ritual of ,Rubbing: on Medicine and Magic in Ancient Mesopotamia,JNES,62,2003
- 5- Henry,J,The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the university of Chicago,1959, CAD,B.2
- 6-Johna,A.,Crime and Punishment in Ancient Surgery:An Examination of Assyrian and Egyptian physicians,London,2015
- 7- Jastrow,M.,Babylonian-Assyrian Birth-Omens,Philadelphia,1914
- 8- Kinnier, w,Mental Diseases in ancient Mesopotamia,London,1967
- 9- Magner,L.,A History of Medicine,New York,1992
- 10- Paulissian,R,Medicine in Ancient Assyria and Babylonia,Tehran,1960
- 11- Shaked,S.,Officinal Magic Essays on the Practice of Magic in Antiquity,USA,2005
- 12- Sigerist,H.,History of Medicine Primitive and Magic Medicine,New York,1970
- 13- Teall,E.K.,Medicine and Doctoring in Ancient Mesopotamia,London,2014
- 14-Walker,J.,Religious and Moral Ideas in Babylonia and Assyria,London,1919-

ABSTRACT

The doctors of Mesopotamia arrived in the field of medical sciences at an early date to the results of the utmost precision and dexterity, both in the diagnosis of many of the psychological diseases, which were often addressed by religious speculation by certain types of priests such as priest (MAŠMAŠU) (ašipu), (bârû) or physical, which the physiotherapist of the (AZU) and (asû) class assigned to the patient's body as a symptom of the type of illness and how Treated, and the doctors of Mesopotamia to prepare different types of prescriptions for the treatment of the introduction of substances Animal and mineral salts. These doctors knew the duration of

incubation of the disease and practiced various types of surgery and how to treat them. They also pointed to the importance of adhering to diet and exercise, which protects against the deterioration of human health, and frames all this medical product with laws and legislation. Control the operations of the practice of medicine under the legal controls in which they identified the right of the patient as a result of medical negligence and the salary of the doctor, whether human or veterinary, which was treating the animals, they produced scientific foundations of early medicine preceded by their time of the surrounding people and peoples, and moved some details outside the borders, Note that many of these medical concepts are still practiced by our doctors today.